اسهامات مؤرخ الشام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر

((في تطور كتابة السيرة النبوية في كتابه تاريخ مدينة دمشق))

م.م. عمار عبودي محمد حسين
نصار
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

توطئة: جهود علماء الشام العلمية في كتابة السيرة النبوية حتى عصر ابن عساكر

أسهم علماء الشام اسهامات جادا في رفد الثقافة العربية الاسلامية بمصنفات عدة، فضلا عن دورهم الحيوي والمهم في نشر احداث تاريخ صدر الاسلام والسنة النبوية المطهرة وروايتها؛ إذ برهنت احدى الدراسات الحديثة على ان مكانة اهل الشام لا تقل قدرا في رواية وتدوين أحداث السيرة والمغازي - التي هي مدار البحث - عن باقي علماء الامصار الاسلامية ولا سيما الحجاز والعراق، وذلك بعرض أسماء التابعين وتابعيهم ومن أتى بعدهم من الذين ذكرت المصادر قيامهم بتوثيق بعض احداث السيرة في حقبة مبكرة من تاريخ الاسلام(١)، وان وجدت بعض العقبات التي وضعها الأمويون للحد من انتشار أخبار السيرة ومآثر المسلمين وبطولاتهم ولا سيما الانصار منهم في الدفاع عن الاسلام وتوسيع رقعته(٢).

بقي عطاء هؤلاء العلماء مستمرا من دون توقف بل تضاعف بعد مجيء العباسيين، بتشجيعهم لمؤرخي السيرة واستقطابهم ووضعهم تحت رعايتهم المباشرة(٣)؛ إذ وردت لنا كتب التراجم أسماء عدة علماء ولدوا في الشام أو استوطنوا فيها وكانت لهم مصنفات عديدة للسيرة والمغازي، إذ ذكر احدى الدراسات أربعة منهم كانت لهم نتاجات مهمة في السيرة كانت مصادر أساسية

لمن تأخر عنهم من المؤرخين والمحدثين(٤)، وهم:

١. أبو العباس الوليد بن مسلم الأموي (١٩٥هـ).

٢. أبو عبد الله محمد بن عائذ القرشي (٢٣٣هـ).

٣. أبو زرعة الدمشقي (٢٨٠هـ).

٤. أبو علي محمد بن هارون بن شعيب الأنصاري (٣٥٣هـ).

لم ينته الأمر عند هذا الحد، بل راح علماء الشام إلى الكتابة في محاور السيرة بصورة أكثر تخصصاً من جهة ومدمجة ضمن مصنفات أخرى من جهة أخرى؛ اذ من خلال ملاحظة القوائم التي أحصى فيها المنجد ما صنفه العلماء في سيرة الرسول (ص)، إذ نرى لعلماء الشام حضوراً واضحاً فيها لمعظم الجوانب والمحاور التي عرضتها تلك المصنفات عن سيرة الرسول حتى عصر مؤرخنا ابن عساكر(٥).

تعددت محاور واتجاهات التأليف التي دخلت فيها أحداث السيرة بعد التنوع الحاصل في طبيعة المصنفات التي بدءت بالاتساع والتخصص تدريجياً بعد منتصف القرن الثالث الهجري، ومن هذه المصنفات كتب الطبقات والتراجم التي تفرع منها كتب التواريخ المحلية(٦)؛ وذلك ان وضعنا كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ضمن كتب الطبقات والتراجم؛ أما إذا كان من كتب التواريخ المحلية فإن هذا الأمر يعد ريادة مهمة في افتتاح مثل هذه الكتب بسيرة للرسول مهما كان حجمها واتساعها بحسب طريقة الكاتب ونهجه في ايراد الحوادث، وذلك بالترجمة للرسول (ص) على اعتبار أنه وطأ بقدميه الشريفتين تلك الأماكن التي كتبت عنها مثل تلك التواريخ وكان تاريخ ابن عساكر أحدها.

نشأته وتكوينه:

هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن الدمشقي الشافعي، ولد بدمشق سنة (٤٩٩هـ)(٧)، ونشأ نشأة علمية في أسرة محبة للعلم ومشتغلة به، فدرس على أبيه وأخيه جملة من العلوم العقلية والنقلية، ثم بعد أن

أكمل هذه العلوم توجه إلى السماع من محدثي الشام ومؤرخيه، ولم يكتف بذلك بل رحل إلى بلدان وأقاليم المشرق الاسلامي حتى عبر بلاد ما وراء النهر لينهل من علماء تلك البلدان والأقاليم، فقد وثق لنا السمعاني (٥٥٩هـ) جانبا مهما من رحلاته ولقاءاته بالعلماء والمحدثين لأنه كان رفيق سفره وترحاله في طلب العلم(٨)؛ وأعطانا السبكي (٧٢٩هـ) وصفاً لهمة ابن عساكر وشغفه في طلب العلم إذ يقول ((رحل إلى البلاد الكثيرة والمدن الشاسعة والأقاليم المتطرفة لا تنفك نائي الديار يعمل المطية في أقاصي القفار إلى سمرة يصحبه الا تقي اتخذه انيسه وعزم لا يرى غير بلوغ المآرب بدرجة نفيسة ولا يظلله إلى سمرة في رباع قفراء))(٩)، حتى وصل لأجل همته المتفانية هذه بأن وصف ((بحافظ الأمة وناصر السنة وخادمها.. أما أهل الحديث في زمانه وختام الجهابلة الحفاظ ولا ينظر أحد منه مكينة مكانة، محط رحال الطالبين ومؤمل ذوي الهمم من الراغبين...))(١٠)، وغير ذلك من عبارات التعظيم والتبجيل التي نعته العلماء بها على مختلف عصورهم(١١).

ولأجل ما تقدم تعددت ثقافة ابن عساكر وتنوعت المناهل العلمية التي غرف منها العلم والمتمثلة بالجمع الغفير من الشيوخ الذين سمع منهم وأجازوه بالرواية عن شيوخهم؛ حتى قيل في وصف مشيخته (فمن ملاحظة شيوخ ابن عساكر نستبين مقدار العلم الذي حمله هذا الرجل وهو في سن مبكرة)، حتى بلغ عدد شيوخه رقما فاق الحصر فبلغ بحسب اتفاق العلماء الذين ترجموا له بأكثر من ألف وثلثمائة رجل وثمانين امرأة(١٢).

كونت هذه الظروف وخلقت شخصية قل نظيرها أمام الجمع الغفير من الشخصيات العلمية الاسلامية التي زخرت بذكرهم كتب التاريخ والتراجم والطبقات، لأن لعوامل التنشئة الاجتماعية أثراً في تكوين شخصية الفرد واكسابه خصوصية عن باقي اقرانه، وهذا الكلام ينطبق على مؤرخنا ابن عساكر، الذي كان لظروفه التي نشأ بها والموارد التي استقى منها معلوماته فضلاً عن نبوغه الشخصي وقابليته على الحفظ واستحضار الدليل أثر واضح في

طبيعة المصنفات التي تركها لنا؛ وخير مثل على ذلك كتابه ذائع الصيت (تاريخ مدينة دمشق)، فضلاً عن مصنفات تفوق الحصر لم يستطع العلماء الذين ترجموا له أن يحصوها جميعها، فصرحوا بالقول بعد سردهم قائمة من مصنفات بعبارة ((وغير ذلك))، أو ((فمنها))(١٣).

لم تفتر همة ابن عساكر في الدرس والتأليف، فبقي إلى أن توفاه الله عام ٥٧١هـ مواظباً على العلم وتدريسه(١٤)، وخير شاهد على ذلك ما ذكره اليافعي (٧٦٨هـ) في ترجمته لابن عساكر ما نصه ((لم أر مثله ولا من اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة منذ أربعين من لزوم الصلوات في الصف إلا من عذر والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة وعدم التطلع وتحصيل الأملاك وبناء الدور قد اسقط ذلك عن نفسه وأعرض عن طلب المناصب ثم الامامة والخطابة... بعد ما عرضت عليه))(١٥) فلم تذكر المصادر تزلفه أو محاباته لسلطان أو ملك أو أمير، بل كان بالعكس من ذلك يعظهم ويوبخهم ان بدر منهم تقصير معين، وخير شاهد على كلا منا هنا ما ذكره عدد من المؤرخين ان ابن عساكر قد وبخ الناصر صلاح الدين الأيوبي لكثرة اللغو واللغط من قبل مماليكه في مجلسه بقوله ((نزهت نفسي عن مجلسك فإني رأيته كبعض مجالس السوقة لا يستمع إلى قول قائل، ولا يرد جواب متكلم، وقد كنا نحضر بالأمس مجلس نور الدين فكنا كما قيل كإنما على رؤوسنا الطير، تعلونا الهيبة والوقار فإذا تكلم انصتنا، وإذا تكلمنا أنصت لنا))(١٦).

هذه هي الخطوط العامة لشخصية ابن عساكر التي أوضحت لنا بجلاء الظروف والاتجاهات والأحوال التي رافقتها والمواقف التي بدرت منها تجاهها، كل ذلك أدى بالنتيجة إلى جعلها عوامل ايجابية ساعدت على بلوغ الغايات والمقاصد التي ابتغى ابن عساكر تحقيقها فكان من نتاجها هذا التراث الضخم الذي تركه هذا الرجل.

كتاب تاريخ مدينة دمشق

يعد كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المصنف الرائد في مضمونه

ومحتواه من حيث المادة الموجودة فيه والاسلوب والمنهج المتبع في كتابته بوصفه من أوسع كتب التواريخ المحلية في عصره والعصور اللاحقة، إذ اسهب العلماء الذين ترجموا لابن عساكر في وصف كتابه هذا ولم يخفوا مطلقاً شدة استغرابهم لهمة هذا الرجل وطول باعه في الكتابة والتصنيف؛ اذ يقول احدهم في وصف هذا الكتاب ((صنف التاريخ لدمشق في ثمانين مجلداً اتى فيه بالعجائب))(١٧).

نعت هذا الكتاب اخر بالقول ((صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلدا فهي باقية بعده مخلدة، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين واتعب من يأتي بعده من المتاخرين فحاز فيه قصب السبق، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه واصله وحكم بأنه فريد دهره في التواريخ وانه الذروة العليا من الشماريخ))(١٨)، ويذكر ابن خلكان (٦٨١هـ) وصفاً له في محاورة جرت بينه وبين احد شيوخه نصها ((قد جرى ذكر تاريخ ابن عساكر المذكور واخرج لي مجلدا وطال الحديث في أمره واستعظامه، (ما اظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرح في الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن ان يجمع الانسان منه مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه)، قال ابن خلكان معقبا على ذلك (ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول، ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يصنع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له بعد مسودات ما كاد ينضبط حصرها)(١٩)، أما السبكي فقد قرض هذا الكتاب بالقول بعد سرده ترجمة موجزة لابن عساكر ((له تاريخ الشام في ثمانين مجلدا واكثر ابان فيه عما لم يكتمه غيره، وانما عجز عنه ومن طالع هذا الكتاب عرف إلى أي مرتبة وصل هذا الإمام واستقل الثريا...))(٢٠)، إلى غير ذلك من النعوت والتقاريض التي فاحت بها قرائح العلماء اعجاباً بهذا المصنف الذي كان بحق اعجوبة من أعاجيب الزمان ونقطة حضارية سجلتها الحضارة العربية الاسلامية لتراث الانسانية بان تركت مصنفا بهذا الحجم في ذلك الوقت من الزمان، ولاجل ذلك خرج هذا المصنف الاسطوري إذ سمح لنا هذا

المصطلح بإطلاقه على هذا الكتاب الذي حوى على شاردة وواردة من تاريخ بلاد الشام ورجالاته من الأنبياء والرسل والخلفاء والعلماء.

عد هذا الكتاب من التواريخ المحلية(٢١) لأنه حوى على تراجم اعلام بلد معين وهي مدينة دمشق ونواحيها(٢٢).

ومن مراجعتنا المتواضعة لما وصلت إليه ايدينا من كتب التواريخ المحلية التي تضمنت ذكراً للأماكن والبلدان التي وطأها الرسول بقدميه الشريفتين واستقر بها، إذ لم نجد فيها ترجمة موجزة أو مطنبة للرسول (ص) في طياتها، اذ اكتفت هذه المصادر بذكر بعض الأخبار المتفرقة لسيرة الرسول ومواقفه من بعض الحوادث التي مرت به(٢٣)، وينطبق هذا الحديث على الكتب التي صنفت في تاريخ مدن الشام(٢٤) ولا سيما القدس التي اسرى الرسول إلى مسجدها الأقصى، إذ لم تذكر هي الأخرى اخبارات عن سيرة الرسول(٢٥)، فكان هذا الأمر خصيصة خص بها ابن عساكر كتابه هذا (تاريخ مدينة دمشق) بأن ضمنها سيرة للرسول (ص).

يعزى هذا العزوف من قبل مؤرخي تلك البلدان إلى أن اغلب مصنفاتهم كانت تواريخ محلية يومية اعتمدت بالدرجة الأساس على وصف طبوغرافية وعالم تلك البلدان وأحوال سكانها وعرض سريع للعديد من الحوادث التاريخية والدينية منها فإنها قد ركزت في جانب واحد من الجوانب الا وهو الاعلام الذين سكنوا تلك المدن واثرهم الديني فيها(٢٦) فضلاً عن ذلك فإن الاقتضاب كان سمة ملازمة لهذه المصنفات مع الافتقار إلى التبويب والسبق الزمني للحوادث.

استطاع ابن عساكر بما أوتي من فطنة واستيعاب أن يحوي تجارب من سبق ويخرج لنا مصنفه (تاريخ مدينة دمشق) ـ الذي وصفه أحد المؤرخين ((بأنه قد ندر على من تقدمه من المؤرخين واتعب من يأتي بعده من المتأخرين فحاز فيه قصب السبق، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه وأصله، وحكم بأنه فريد دهره في التواريخ وانه الذروة العليا من الشماريخ...))(٢٧) ـ مبتدءاً فيه

كلامه بعد وصف مدينة دمشق وابعادها(٢٨) بذكر سيرة شاملة للرسول (ص) بالافتتاح بمن اسمه احمد تيمنا وبركة لكون الرسول ممن اجتاز نواحي دمشق (تبوك والمريسع) فكان عليه ترجمته (ص) ايفاء منه بما اشترط على نفسه من ذكر تسمية من حلها من الاماثل واجتاز بنواحيها وأهلها(٢٩).

السيرة النبوية في كتاب تاريخ مدينة دمشق

شغلت سيرة الرسول (ص) حيزاً كبيراً من الأجزاء الأول من هذا الكتاب، فتارة يورد اخبارها متناثرة هنا وهناك(٣٠) وتارة في تبويب متسلسل يستعرض حياة الرسول (ص) من ولادته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى(٣١).

كان وراء تضمين ابن عساكر لسيرة الرسول (ص) في كتابه هذا مقاصد وغايات عدة، حفزته على ايرادها بهذه السعة في كتاب مخصصاً لذكر تراجم من دخل الشام وسكنها؛ وهذه المقاصد والغايات هي:

١. مقاصد وغايات منهجية صرفة:

تمثلت هذه المقاصد والغايات بما اشترطه ابن عساكر على نفسه بمقدمة كتابه من ذكر كل من دخل وحل في دمشق وضواحيها واجتاز بأرضها، واصفاً طبيعة تراجم الاعلام الذين سيتضمنهم كتابه هذا، والشروط والمعايير التي تنطبق عليهم والتي اشترطها على نفسه حتى تكون متطابقة مع عنوان كتابه والغاية من تصنيفه التي أوضحتها مقدمته التي مفادها ((وهو كتاب يشتمل على ذكر من حلها [دمشق] من اماثل البرية أو اجتاز بها أو بأعمالها من ذوي الفضل والمزيد من انبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها...))(٣٢).

فنرى ان ابن عساكر قد وجد في أثناء استعراضه للشخصيات التي تضمنها كتابه؛ ان معياره المنهجي ينطبق كل التطابق على شخصية نبينا محمد (ص)؛ لأنه قد اجتاز أراضي الشام وأعمال دمشق، وذلك في مرات عديدة في حياته الشريفة، الأولى: عند سفره مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام التي التقى فيها ببحيرى الراهب وتنبؤ الأخير له بما يحمله المستقبل من مهمات جسام تغير تاريخ العالم ومسار البشرية(٣٣)، والثانية: عند ذهابه في تجارة

موكلا من قبل خديجة بنت خويلد(٣٤)، والثالثة: بعد بعثته وقبيل هجرته إلى المدينة عندما أسرى به الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في القدس(٣٥)، والأخيرة: في غزواته لكل من تبوك والمريسع(٣٦).

فكانت هذه الحوادث مجتمعة سبباً مباشرة جعلت حضور السيرة النبوية في هذا الكتاب أمراً لا مناص منه.

٢. التبرك والحصول على المثوبة والأجر من الله سبحانه وتعالى:

انتهج العلماء ولا سيما مصنفو كتب التراجم والطبقات مسلكاً أصبح بعد ذلك سنة متبعة عند أكثرهم، وذلك بتضمين سيرة موجزة للرسول (ص) - في مفتتح كتبهم - عند شروعهم في تصنيف كتاب عن تراجم العلماء والمحدثين(٣٧)، أو الابتداء بالمحمدين أو من اسمه احمد منهم(٣٨)، وكان الرائد في وضع هذه الطريقة وسنها ابا عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، وذلك من تأكيد ابي زكريا النووي (٦٧٦هـ) هذا الأمر - بالاستنان بسنة البخاري في تضمين سيرة الرسول في بداية كتابه (تهذيب الاسماء واللغات) - بالقول ((وابتدء فيه بمن اسمه احمد كما فعل أبو عبد الله البخاري والعلماء بعده رضي الله عنهم بشرف اسم النبي صلى الله عليه وسلم))(٣٩).

فما كان من ابن عساكر الا السير على منوال من سبقه من العلماء في الافتتاح بمثل هذه الكتب بذكر من اسمه احمد أو محمد تبركاً بإسم الرسول (ص)؛ ثم بعد ذلك تاخذ باقي التراجم مسارها ضمن احرفها الابجدية، فيقول موضحاً ذلك ((وبدأت بذكر من اسمه احمد لأن الابتداء بمن وافق اسمهم اسم المصطفى ثم ذكرتهم بعد ذلك على ترتيب الحروف))(٤٠).

٣. غايات ومقاصد علمية محضة:

لم تكن السيرة النبوية التي ضمنها ابن عساكر في كتابه هذا مجرد سرد وعرض لحوادث السيرة وتجميع لطرق روايتها أو من باب اسقاط الفرض كما يقال؛ بل كانت هناك دوافع علمية جادة حدت بابن عساكر ان يخصص هذا الحيز الضخم من كتابه للحديث عن سيرة الرسول (ص) وأحواله، بلغت

الكتابات عنها في عصره حدا من التطور والاحتواء - لا يسعنا في هذا المكان ايضاحه(٤١) - إذ لا يكون أي مصنف بعد تلك الجهود السابقة إلا تكراراً واجترارا لما كتب أو قيل عنها.

تمثلت هذه المقاصد العلمية بعرض المتابعات(*) من الروايات واحتوائها واثبات ما وصل إلى مسامعه وناظره من اخبار ووصف لأحداث السيرة بجهد قل نظيره، ومناقشة تلك الروايات والترجيح بينها من حيث الضعف والقوة وتبويبها بتسلسل منظم؛ منتهجاً مسلكا خالف فيه من عاصره أو سبقه من مؤرخي السيرة الذين انعدمت صفة الاصالة في كتبهم التي صنفوها في هذا الموضوع(٤٢).

هذه هي المقاصد والغايات التي حفزت ابن عساكر في الشروع بتضمين سيرة مسهبة للرسول (ص) في كتابه؛ ولم تكن تلك الغايات احادية التأثير مما يؤدي إلى تقدم غاية ومقصد من هذه الغايات على مثيلاتها.

منهج ابن عساكر وموارده في كتابه السيرة

اتبع ابن عساكر منهجاً توفيقيا مازج فيه ومناهج المؤرخين والياتهم ومعاييرهم في كتابة الحوادث والأخبار ومنها السيرة على وجه الخصوص، وبين مناهج المؤرخين وطرقهم وأساليبهم في ايراد الحوادث وعرضها.

إذ هيمنت أساليب المحدثين وطرقهم على اتجاهات ابن عساكر المعرفية، لغلبة علم الحديث على اهتمامه وغاياته من باقي العلوم الأخرى بحسب ما وصفه المترجمون له وما عرضته مصنفاته.

تمثلت هذه الأساليب التي تضمنتها السيرة النبوية في كتابه (تاريخ مدينة دمشق)، بـ:

١. تجميع الروايات المتعلقة بالحادثة التي يرويها بمختلف الطرق التي وصلت إليه، وذكر الاضافات المتضمنة لكل رواية على الحدث الذي يعرضه في كتابه هذا(٤٣).

أدت هذه الظاهرة في كتاب ابن عساكر هذا؛ دوراً بارزا في توسع

القسم الخاص بسيرة الرسول منه لتكرار الحادثة الواحدة عدة مرات مع اختلاف الضئيل في اللفظ، لأنه قد اعطى بعداً لسند الروايات وطرقها أكثر مما اعطى لمضمونها(٤٤).

كانت هذه الظاهرة - في السيرة التي تضمنها تاريخ ابن عساكر - قاسماً مشتركاً مع كتاب أبي بكر البيهقي (٤٥٦هـ) (دلائل النبوة)، اذ اتبع الأخير في كتابه هذا تلك الطريقة انفة الذكر نفسها، فعد لذلك نقلة نوعية وتجديدية في تطور كتابة السيرة(٤٥).

٢- ذكر البلد الذي سمع فيه الرواية وكيفية سماعها من املاء أو قراءة أو مشافهة، اذ صرح ابن عساكر في أكثر من موضع في الأجزاء الخاصة بسيرة الرسول (ص) من كتابه تاريخ مدينة دمشق بالبلدان التي سمع بها بعض روايات السيرة ولا سيما من شيوخه من النسوة المحدثات(٤٦) مما يعطينا ذلك رؤية نتعرف منها على طبيعة روايات كل بلد واهتمامات محدثيه في تقصي تلك الروايات وإملائها على تلاميذهم، وهذا ما يجعلنا نعقد مقارنة بين ما رواه علماء كل اقليم بمثيلاته من الأقاليم الأخرى من اختلاف وتباين في طبيعة تلك الروايات والاضافات عليها، مع ذكر الواسطة التي حصل عليها ابن عساكر في تلك الروايات من الاجازة برواية مصنفات من التقى بهم من شيوخ أو قراءة عليه أو وجادة أو املاء... الخ من أساليب وتعابير المحدثين وطرقهم في الحصول على الرواية(٤٧).

ان نهج ابن عساكر هذا لم يكن عفوياً بل كان على وفق منهج مدروس أوضحته باقي مصنفاته التي ركز بها في هذا العامل في ذكر البلاد التي سمع بها ورحل إليها، إذ اسعفنا بعض النصوص التي نقلها أحد الباحثين من مخطوط لكتاب (الأربعينيات في البلدان) لإبن عساكر حقيقة هذا التوجه في سرد البلاد التي زارها واسماء الشيوخ الذين سمع منهم وأجازوه بالرواية عنهم وبكل ما حصلوا عليه من اجازات علمية(٤٨).

٣- الاحتياط في رواية الحديث النبوي الذي تتضمنه الرواية التاريخية من

حيث زيادة مفردة أو حرف فيه أو غياب كلمة منه، وهذا ما جسدته رواية الأحاديث بطرق متعددة والمفاضلة بينها في مدى قوتها وضعفها من حيث المتن والاسناد(٤٩).

٤ـ جمع الروايات في سياق واحد بما يسمى اسنادا جمعياً، واختصار أسانيدها(٥٠)، وذلك انتهاجاً منه لاختصار كتابه إلى أقصى حد من دون المساس بمضامينه؛ لأنه لو اثبت اسانيد رواياته ومتونه بأجمعها لكان الكتاب من السعة بمكان ان لا يمكننا التكهل بحجمه الذي هو الآن محل تعجب وانبهار لسعته واحتوائه لروايات تفوق الحصر والعد، وهذا ما أشار إليه في عدة مواضع من كتابه بقوله ((وقد وقع الي بعلو هكذا مختصراً))(٥١) إلى غير ذلك من عبارات الاختصار(٥٢).

ألف هذا النهج الذي سلكه ابن عساكر ظاهرة كان هو احد دعائمها والمؤيدين لها من خلال اسقاط اساليب المحدثين وطرقهم على كتابة النص التاريخي، وهذه الظاهرة كانت منتشرة نوعاً ما في العصر الذي عاش فيه ابن عساكر، اذ سلك بعض المحدثين هذا الاسلوب، وكان في طليعتهم أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) الذي جعل من كتابه (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة) بوتقة صهر فيها مناهج المحدثين والمؤرخين في كتابتهم للنص التاريخي(٥٣) فكان بحق حلقة تجديدية مهمة في تطور كتابة السيرة النبوية في عصره من خلال مزجه بين اساليب المحدثين والمؤرخين في الكتابة عن سيرة الرسول وأحواله(٥٤)؛ مع العلم ان هذا الكتاب كان من مصادر ابن عساكر المباشرة ونقل عنه نقلا كثيرا في كتابه الذي هو قيد الدراسة(٥٥).

ويبدو لي ان هذه الظاهرة في الكتابة التاريخية قد كانت اكثر وضوحاً في كتابة السيرة النبوية من غيرها من فرع الكتابة التاريخية، ذلك لان محاور السيرة قد كانت من اهتمامات المحدثين والمؤرخين على حد سواء؛ اعتمدها المحدثون لأن فيها افعال الرسول وأقواله التي هي المصدر الثاني في التشريع الاسلامي (السنة)، واهتم بها المؤرخون لأنها تمثل حقبة تاريخية مهمة في تاريخ

العرب والعالم بوصفه نقطة تحول من الجهل والبداوة إلى الايمان والوحدة في مجتمع كانت تسوده التفرقة والأمية، لذلك كان عصر الرسالة المتمثل بسيرة الرسول (ص) المرحلة الانتقالية الكبرى في تاريخ العرب والمسلمين.

أما اساليب المؤرخين ومناهجهم تمثلت بعدة محاورة وأمور هي:

١ـ نقد الرواية متناً وسندا، وذلك من ترجيح رواية مؤرخ على آخر، اذ حفلت صفحات الكتاب ولا سيما اجزاء السيرة منه بنقود وترجيحات كثيرة ومتعددة(٥٦)؛ يقول في احداها عن غزوة ذات السلاسل: ((فهي غزوة بعد غزوة مؤتة فيما ذكر أهل المغازي سوى ابن اسحاق فإنه ذكر انها قبل غزوة مؤتة))(٥٧)، ويضيف ايضاً بعد سرده للعديد من الروايات المتعلقة بمولد الرسول (ص) ((كذا جاءت هذه التواريخ مدرجة في الحديث واراها من قول ابن اسحاق))(٥٨).

٢ـ التسامح في أدلة السنن، وذلك من ايراده بعض الروايات الضعيفة والموضوعة في سرده بعض حوادث السيرة وان نبه عليها من حيث وهم نقلتها أو ضعفهم(٥٩).

٣ـ توثيق الخبر التاريخي بما قيل فيه من شعر(٦٠)، اذ وجدنا من استعراضنا صفحات السيرة التي تضمنها تاريخ ابن عساكر وجود نصوص شعرية كثيرة تفوق الحصر؛ اذا جمعت تؤلف اضافة نوعية جادة لما يعرف بادب السيرة(٦١) .

فضلا عن ذلك ان معظم هذه النصوص الشعرية قد كانت من الانفرادات التي تفرد بنا ابن عساكر عن باقي مؤرخي السيرة، وان كرر تلك القصائد لأنه يوردها بطرقها المختلفة، ولكنه يضيف في ايراده هنا عدة الابيات التي اسقطها بعض الرواة لتلك القصائد.

وهذا المنحى في توثيق النص الشعري من قبل ابن عساكر مرجعه إلى كونه محدثاً جل همه حصر الروايات التي يختلف فيها اللفظ ويتشابه فيها المضمون، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل راح يعلق على بعض القصائد مبينا

الخلل الحاصل فيها من حيث الوزن والقافية والعروض، إذ لنا في قصيدة أبي طالب خير شاهد على كلامنا هذا ولا سيما في البيت الشعري:

وشق له من اسمه يجله فذو العرش محمود وهذا محمد(٦٢)

اذ يعلق على هذا البيت بعد ايراد بعض الشواهد الشعرية(٦٣)((فعلى هذه الرواية لا شاهد فيه والوجه الثاني في رواية البيت - وشق له من اسمه - على الوصل وترك القطع اقراراً له على اصله في اخراجه على قياسه فإذا روي هكذا فهو الزحاف، وفي زحافه حذف خامس جزته الثانية...))(٦٤).

مع العلم ان احد الباحثين قد عد ابن عساكر مهملا في نقده وتصحيحه للنصوص الشعرية والتاريخية مقارنة بما نهجه مع المحدثين وراوياتهم اذ يقول: ((على اننا نلاحظ انه اهمل التصحيح في الروايات التاريخية والأدبية فإنه يصحح كثيراً من اسماء المحدثين أو يبين ما هم عليه من ضعف وتوثيق))(٦٥)، وهذا الرأي يعد مجحفاً نوعاً ما بحق ابن عساكر الذي لم يخل كتابه من نقد لما ورد فيه من شعر كما لاحظنا انفا.

٤- استعمال الاحالة إلى كتبه عند مناقشة بعض الروايات التي افاض فيها القول، وخشية التكرار اعتمد على هذا الاسلوب حتى يحافظ على حيز متواز من الروايات التي يتضمنها كتابه وعدم تكرار ما ذكره في مصنفاته السابقة مخافة ان يوصم مصنفه بالاشتغال والعيال على ما تصنفه سابقا(٦٦).

هذا هو المنهج الذي نهجه ابن عساكر في كتابته سيرة الرسول (ص) التي ضمنها في مصنفه (تاريخ مدينة دمشق)، والذي اظهر فيه وجود ممازجة بين مناهج المؤرخين والمحدثين في عرض اخبار السيرة وتحليلها.

موارد ابن عساكر في كتابته سيرة الرسول (ص)

كمان وراء انتهاج ابن عساكر لمسلكه انف الذكر والمتضمن الاستفادة من آليات المحدثين والمؤرخين ومعاييرهم في عرض احداث السيرة؛ موارد عدة أضفاها هذا النهج، الذي كان سبباً مباشراً في تنوع تلك الموارد وتعددها، وهذه الموارد هي:

أولاً: موارد شفهية:

ان الناظر لسيرة الرسول في كتاب ابن عساكر أول وهلة لا يعتريه ادنى شك ان مصادره فيها مصادر شفهية، وذلك للأسانيد الكثيرة والمتعددة التي تفوق الحصر لما انتشر من روايات عن أخبار الرسول وأحواله من دون ذكر اسم مؤرخ او محدث صاحب مصنفٍ معين أو كتاب بصورة منفردة الا في أماكن قليلة مقارنة بباقي صفحات السيرة من الكتاب(٦٧).

تمثلت هذه الموارد الشفهية بالكم الهائل من الروايات التي اثبتها ابن عساكر في كتابه هذا عن سيرة الرسول وذكرها بطرقنا المختلفة، وذلك باثباته لجميع ما سمع من العلماء من احاديث وأخبار عن سيرة الرسول (ص) في عصر ضعف فيه الاسناد والخبر المنقول الاثر بحسب ما يقوله اهل هذا الفن(٦٨) الذين عدوا سنة (٣٠٠هـ) الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين، لأن المحدثين في العصور المتأخرة لم يتقيدوا في رواياتهم بالشروط الواجب توافرها في رواة الحديث مشايخهم لتعذر الوفاء بها على نحو ما كان عليه التزام المحدثين للزمن الأول(٦٩).

لم يلق هذا المسلك في التأليف باستعمال الروايات الشفهية في كتابة السيرة قبول المحدثين في عصر ابن عساكر، لأن الاسناد والاثر الشفاهي قد نعت على حد وصفهم بدرجة من الهشاشة لأنه كان يطلب للتبرك، وان المقصود من تداول الاسانيد في العصور المتأخرة. بحسب ما يقوله ابن الصلاح (٦٤٣هـ). هو لايفاء سلسلة الاسناد التي خص بها هذه الأمة شرفاً لنبينا محمد (ص) وليس الغاية منها التعرض لكون الحديث أو الرواية مقبولاً أم لا(٧٠)، وقد نقل ابن الصلاح رأي البيهقي حول هذا الموضوع ومدى القيمة العلمية باستعمال الموارد الشفهية لحوادث بلغ عمرها اكثر من قرون، اذ يقول: ((وقد سبق إلى نحو ما ذكرناه الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي رحمه الله فإنه ذكر ما رويناه عنه، وتوسع مع من توسع السماع من بعض محدثي زمانه الذين لا يحفظون حديثهم ولا يحسنون قراءة كتبهم، ولا يعرفون ما يقرأ عليهم بعد أن تكون القراءة عليهم

من أصل سماعهم، ووجه ذلك بأن الاحاديث التي قد صححت أو أوقفت بين الصحة والسقم قد دونت وكتبت في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث ولا يجوز ان يذهب شيء منها على جميعهم وان جاز ان يذهب على بعضهم بضمان صاحب الشريعة حفظها))(٧١).

مع العلم ان البيهقي نفسه قد كان احد مصادر ابن عساكر المباشرة في الحصول على تلك الروايات الشفهية وسار ابن عساكر على منوال في كتابته سيرة الرسول (ص) ونقل عنه نصوصاً كثيرة ولا سيما من كتابه (دلائل النبوة)(٧٢).

ومع كل ما قيل فإن هذه الشدة والصرامة في كتابة وتدوين الحديث وروايته لا تؤخذ بمحمل جد عند الكتابة عن الفضائل والصفات والشمائل المتعلقة بالرسول (ص)، لأن ذلك لا يترتب عليه أي حكم شرعي، فقد فصل الإمام احمد بن حنبل (٢٤١هـ) بين روايات الأحكام وروايات الفضائل ودرجة الجدية في التعامل معها، فقد قال: ((اذا روينا الأحكام تشددنا وإذا روينا الفضائل تساهلنا))(٧٣)، فإن هذه الروايات الشفهية التي حاول ابن عساكر ايرادها في كتابه هذا هي من قبيل الصنف الثاني من الروايات التي وصفها ابن حنبل بأنها (روايات الفضائل).

اعطانا هذا المسلك الذي انتهجه ابن عساكر من اعتماده على الروايات المسموعة شفاها من شيوخه صورة واضحة لطبيعة الروايات المتعلقة بسيرة الرسول في عصره ومميزاتها من حيث الضعف والقوة والصحة والوضع، فضلاً عن اكسابه سيرة الرسول (ص) لروايات انفرد ابن عساكر بذكرها ولم تذكرها المصادر المكتوبة قبله عن سيرة الرسول (ص)(٧٤)، وهذه الروايات بغض النظر عن مدى صحتها تعطينا اضافة جادة لأحداث مهمة سكتت المصادر عنها أو ذكرتها باختصار وغموض شديدين، فمن هذه الروايات عرضه محاورة جرت بين أبي سفيان وهرقل قيصر الروم حول وصف الرسول وطبيعة دعوته(٧٥)، فضلاً عن ذكر مواقف السفراء الذين بعثهم الرسول إلى ملوك

واباطرة البلاد المجاورة والحديث الذي جرى معهم(٧٦).

هذه هي طبيعة الموارد الشفهية التي اعتمدها ابن عساكر ولولا سعتها لاحصينا اسماء شيوخه الذين سمع منهم تلك الروايات ولكن ذلك يتطلب منا وقتاً كبيراً لأن شيوخه قد تجاوزوا الألف والثلاثمائة كما ذكرنا ذلك في بداية بحثنا.

ثانيا: الموارد المدونة:

شملت هذه الموارد الكتب والمصنفات التي كتبها العلماء والوثائق العائدة لعصر النبوة والرسائل المتبادلة بينه وبين علماء عصره حول حادثة معينة من حوادث عصر الرسالة، وهذه الموارد من التداخل والتشابك بينها وبين الموارد الشفهية أن لا يستطيع أحد فرزها وأفرادها الا بعد مراجعة اسانيد الروايات المثبتة التي عسى ان يجد فيها اسم عالم اشتهر في كتابة مصنف ما يخرج رواياته منه، وكانت هذه الموارد متمثلة بما صنفه المؤرخون المحدثون الذين اقتبس منهم ابن عساكر في كتابه هذا ويمكن تقسيم هذه النتاجات بحسب طبيعة العلماء الذين كتبوها:

١ـ كتب ومصنفات المؤرخين:

حفل كتاب ابن عساكر بنقول عديدة من كتب المؤرخين وان لم يشر اليها صراحة بل ضمنها في متون اسانيده لحصوله على اجازة رواية معظم هذه المصادر، اذ كان ينقل سنده لمصنفي تلك الكتب وبدوره يرفع الأخير سنده إلى شاهد اعيان الحادثة سواء أكان قولاً أم وصفا أو فعلاً(٧٧)، وخير شاهد على ذلك ما أورده السبكي ان احد طلاب العلم قد فقد نسخة من كتاب وظل يتململ ويشكو لفقدانه هذا الكتاب ولما التقى به ابن عساكر ورأى شدة حزنه على كتابه هذا، أملاه عليه من حفظه(٧٨)، مما يدل على حفظه مصنفات عديدة حصل على اجازة روايتها واثبتها في مؤلفه هذا وبأسانيده المتنوعة، وهذا ما اعطانا ثروة علمية مهمة تمثلت بحفظه نقولاً واقتباسات من كتب ضاعت مع ما ضاع من تراثنا الاسلامي(٧٩)، فمن هذه النصوص مرويات ابن عائذ الذي ذكر

سزكين ان له كتاباً في المغازي(٨٠)، حيث حفلت صفحات السيرة من كتاب تاريخ مدينة دمشق نقولاً عدة من هذا الكتاب(٨١)، كذلك ذكر بعض الروايات التي اثبتها ابن اسحاق في سيرته ولم يوردها ابن هشام في التهذيب الذي عمله لها(٨٢).

فكان كتابه هذا بحق بوتقة انصهرت فيها نتاجات من سبقه من العلماء فكان بذلك رديفاً لكتاب تاريخ الطبري الذي وافقه في المسلك.

شملت نقول ابن عساكر من كتابات ابن اسحاق وخليفة بن خياط والواقدي وتلميذه محمد بن سعد وابن الكلبي وموسى بن عقبة والبيهقي(٨٣)، فضلاً عن ذلك فقد صرح ابن عساكر في اكثر من موضع بنقله نصوصاً متعددة يختمها بمن ذكرها من العلماء في كتبهم(٨٤).

نقل ابن عساكر ايضاً جملة من الوثائق العائدة لعصر النبوة التي تضمنت الرسائل التي بعثها الرسول (ص) إلى اباطرة وملوك البلدان المجاورة وإلى القبائل العربية المتاخمة لأرض الحجاز التي دخلت حديثا إلى الاسلام مبينا فيها طبيعة العلاقات بين تلك القبائل وبينه من حيث العهود والمواثيق المبرمة بينهما(٨٥)، تعد هذه بعض الوثائق من الانفرادات التي خص بها ابن عساكر سيرة الرسول ومصنفي هذا والتي لم توردها الكتب والدراسات التي جمعت تلك الوثائق(٨٦).

هذه هي المصادر التاريخية التي اعتمدها ابن عساكر في كتابته سيرة الرسول، والتي منها نستطيع التقاط بعض هذه النصوص من المصنفات الضائعة التي لم يبق منها سوى الاسم.

٢ـ كتب المحدثين ومصنفاتهم:

كان لمصنفات المحدثين من مساند وصحاح ومجاميع حديثية وغيرها من كتب الحديث حضور متميز في قسم السيرة من كتاب تاريخ مدينة دمشق، اذ كان ابن عساكر يستشهد بين الأونة والأخرى بما أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما من روايات متعلقة بسيرة الرسول (ص) وأقواله(٨٧)، فضلاً عن باقي

المصادر الحديثية الأخرى من مسند الامام احمد بن حنبل، وسنن النسائي والترمذي، وغيرهما من كتب الحديث(٨٨).

ألفت هذه المصادر هي الأخرى مصدراً مهما من مصادر هذا الكتاب الذي حاول فيه مصنفه الاستفادة ممن سبقه من العلماء في كتابه السيرة وترجيحه بينما روته مصنفاتهم تلك، اذ ضم كل واحد من هذه المصنفات روايات لم يوردها الآخر ولا سيما كتب الحديث والتاريخ، فكان كل واحد من تلك المصنفات مكملاً للآخر.

نتيجة لما تقدم ذكره من عرض لمنهج وموارد ابن عساكر في كتابته سيرة الرسول ضمن كتابه تاريخ مدينة دمشق؛ نلاحظ انه قد ألف بمنهجه هذا وموارده التي استقى منها معلوماته تطوراً بارزاً وملحوظاً في كتابة السيرة النبوية، ليس هذا حسب بل تمثل ذلك بمحاور آخر كانت هي الأخرى اسهامات تطورية في كتابة السيرة عند المؤرخين المسلمين وهذه المحاور هي:

أولاً: ادخال السيرة النبوية ضمن كتب التواريخ المحلية الدينية، مع العلم ان التجارب السابقة في التصنيف بهذا الجانب من الكتابة التاريخية لم تسلك هذا النهج لا سيما كتب تاريخ كل من المدينة ومكة والتي كانت اكثر خصوصية من كتاب تاريخ مدينة دمشق، ذلك انها سردت اخبار تلك المدن التي تشرف ترابها بكونه مهبط الوحي ومكان سكنى الرسول (ص) طيلة حياته الشريفة التي بلغت اكثر من ستين عاماً، فلم تذكر تلك الكتب من اخباره إلا النزر القليل متناشراً هنا وهناك في طيات تلك الكتب من دون تخصيص حيز مستقل منها(٨٩)، مع العلم ان هذه التواريخ هي أجدر من غيرها بهذا المسلك مقارنة بمصنف ابن عساكر الذي نهج هذا الجانب فكان بحق الرائد لهذا الأمر ان لم يظهر في المستقبل كتاب على تلك الشاكلة من التواريخ؛ يسبق ابن عساكر وينقض ما ذكرناه انفاً.

وهذا ما تلافاه مؤرخ متأخر كتب عن تاريخ مكة مصنفاً اسماه (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) لتقي الدين الفاسي (٨٢١ هـ) الذي افتتح كتابه

هنا بسيرة للرسول لكونه ممن سكن هذا البلد وعاش فيه(٩٠).

ثانياً: التركيز في الجوانب المعنوية في سيرة الرسول (ص) مثل فضائله وصفاته وشمائله وعلاقاته الشخصية مع زوجاته وبنيه ومأكله ومشربه... الخ من تلك الجوانب التي حفل بذكرها هذا الكتاب(٩١)، اذ لم يفرد ابن عساكر أي باب من أبواب السيرة لذكر مغازي الرسول (ص) وعملياته العسكرية وجهاده في سبيل نشر الدعوة، باستثناء عرضه وبصورة مبسطة لجوانب من غزوة تبوك والمريسع ومؤتة وذلك في أماكن متفرقة من كتابه هنا(٩٢).

ان التركيز في هذه الجوانب واغفال غيرها يعود إلى بنية ابن عساكر الفكرية كمحدث بالدرجة الأساس، لأن ديدن المحدثين الاهتمام بالحديث والسنة أكثر من الأخبار، فهو بذلك قد اسقط ذهنيته كمحدث على كتاب يحسب على المصنفات التاريخية.

ثالثا: ايجاد مجموع توفيقي بين ما هو غث وسمين من الروايات المتعلقة بأخبار السيرة ولا سيما في الدلائل والمعجزات على وجه الخصوص(٩٣)، اذ حشد ابن عساكر كل ما وصل اليه سمعه من روايات حول هذه الجوانب مهما كانت درجة ضعفها، وان نبه على ذلك في مواطن عدة من كتابه، وما ذلك الا تسامحاً منه في أدلة السنن علة انها اخبار لا يترتب عليها الحكم الشرعي.

كان هذا الأمر نقطة سلبية سجلت على ابن عساكر(٩٤)؛ لأنه قد ضخم كتابه هذا ولا سيما السيرة منه بروايات كان الأجدر به تركها بعد أن صرح العلماء بوصف بعضها بالضعف تارة والوضع تارة أخرى(٩٥).

رابعاً: كان هذا الكتاب ولا سيما السيرة التي تضمنتها اجزاؤها الأول مرجعاً لا يستغني عنه من تأخر من العلماء الذين شرعوا في الكتابة عن سيرة الرسول (ص) وأحواله اذ كانت تلك السيرة التي حواها كتاب تاريخ مدينة دمشق في طليعة مصادرهم، أذ لا نكاد نجد احداً من هؤلاء العلماء إلا وعثرنا على اقتباس منها في مصنفه(٩٦)، وما ذلك إلا للجهد العلمي الأصيل والمبتكر الذي بذله ابن عساكر في كتابته سيرة الرسول من دون تكرار واجترار لما

قيل أو كتب واثباته على عواهنه بل اضاف إلى ما وصل اليه من اخبار عن السيرة سمعها من شيوخه التي ظلت تتداولها الألسن والشفاه ولم ينبر احد لاثباتها أما لأنها اختلقت في أوقات متأخرة أو أن طريقها قد انحصر بشيخ أو اثنين، ولم يكن لهؤلاء انتشار في الآفاق أو يحصلوا على نقلة ينقلون حديثهم أو ان طبيعة تلك الروايات لا تلائم الأديولوجيات السلطوية التي هيمنت على المجتمع الاسلامي منذ نهاية العصر الراشدي حتى عصر ابن عساكر، مما جعلها حبيسة الصدور أو ما يسمى بتعبير أهل العلم (المظنون به على غير أهله) وخير شاهد على كلامنا هنا ما ذكره ابن هشام في مقدمة تهذيبه سيرة ابن اسحاق التي يقول فيها: ((اني تارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب... لما ذكرت من الاختصارات واشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم في الشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته))(٩٧).

خامساً: احتواء نتاج من سبقه من المحدثين والمؤرخين في مجال كتابة السيرة النبوية، وذلك من حشد النقول والاقتباسات المتعددة من الكتب والمصادر التاريخية والحديثية التي أصبح بعضها في عداد المفقودات هو بذلك قد مثل مرحلة بدأها البيهقي وطورها هو وذلك من خلال توظيف هذا النتاج وصهره في بوتقة واحدة ليخرج لنا نتاجا هجينا بين أساليب المحدثين والياتهم والمؤرخين وطرق نقلهم ومناهج بحثهم؛ لأن نتاج من سبقه من كتاب التراجم الذين وضعوا مختصرات للسيطرة في بداية مصنفاتهم هم محدثون بالدرجة الأولى كان غرضهم فيها التبرك والحصول على المثوبة والأجر وليس سرد الأخبار والمقارنة بينها من حيث الضعف والقوة.

فكان ابن عساكر ممثلاً لمرحلة اعطاها بعداً كان نهجاً لمن تلاه من مؤرخي السيرة الكبار امثال الذهبي (٧٤٧هـ) الذي افتتح كتابه التاريخ بسيرة موسعة للرسول، وكذلك ابن كثير (٧٧٢هـ) الذي مازج هو الآخر بين هذه المصادر المتعددة للسيرة وكان ابن عساكر احد مصادره المباشرة، تلاهم

المقريزي (٨٤١هـ) الذي صنف كتاباً موسوعياً عن سيرة الرسول نهج فيه هذا النهج اسماه (امتاع الاسماع) وأخيراً كتاب (سبل الهدى والرشاد) للصالحي (٩٤٢هـ).

هذه هي المصنفات التي سارت على منوال ابن عساكر ونهجه في الممازجة بين كتب الحديث والتاريخ في التصنيف بسيرة الرسول.

سادساً: التركيز في الجوانب المعنوية في سيرة الرسول وعدم التطرق إلى الجوانب العسكرية والجهادية من أجل نشر الاسلام من ذكر مغازيه وحروبه مع المشركين واليهود، وهذا تقصير منه فلو اثبت ابن عساكر ما وصل إليه من أخبار المغازي لتوسعت تلك السيرة وأعطاها بعدا وقيمة علمية أكثر مما هي عليه الآن.

تلك هي اسهامات مؤرخ الشام الحافظ ابن عساكر في تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين، والتي نتمنى من الله اننا قد وفقنا لرصدها وهو الموفق لما نصبوا إليه.

الهوامش

(١) حسين عطوان، الرواية التاريخية في بلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي، ص٩٥، ٢٠٦ ـ ٢٠٨، خليل الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني الهجري، ص١٩٦ـ ٢٠٨.

(٢) الزبيري، الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣، أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ٤/٢٢، السيوطي، الحاوي للفتاوي، ٢٨٠/٢، مرجليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، ص١٦ ـ ١٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٢٢١/١، ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٦/١٨.

(٤) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، مج١/ ج٩٨/٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦.

(٥) صلاح الدين المنجد، معجم ما ألف عن رسول الله، ص٤٥، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٤، ٧٥.

(٦) ينظر روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص٢٠٦ ـ ٢٣٦، شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ٣٥٥/١ ـ ٣٦٥.

(٧) الحموي، ياقوت، معجم الادباء، ١٣/ ٧٤ـ٧٦، الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، ١٣٣٠/٤، سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٢٥٤، السبكي، طبقات الشافعية، ٢٧٣/٤، اليافعي مرآة الجنان، ٣/ ٣٧٤.

(٨) السمعاني، أبو سعد، التحبير في المعجم الكبير، ٢٥٩/١، ٢٦٢، ٢٩١، ٣٢١، ٤٣٦، ٥٠٦، ٢٢/٢، ٣٤، ٣٨٤.

(٩) طبقات الشافعية، ٢٧٣/٤.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) الحموي، ياقوت، معجم الادباء، ١٣/ ٧٤.٧٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٧١/٢ الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، ١٣٣٠/٤، سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٢٥٤، اليافعي، مرآة الجنان، ٣/ ٣٧٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٢٩٤.

(١٢) ينظر المصادر نفسها.

(١٣) ينظر ياقوت الحموي ٧٦/١٣، الذهبي تذكرة الحفاظ ١٣٣٠/٤.

(أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج١ ق٢ ص٢٦٧٠. ١٤)

(مرآة الجنان، ٣٩٦/٣. ١٥)

(١٦)ابن الأثير، عز الدين، الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية، ص١٧٣، ابن القاضي شبهة، الكواكب الدرية في السيرة النورية والصلاحية، ص٣٢.

(اليافعي، مرآة الجنان ٣/ ٢٩٤. ١٧)

(ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ٢٩٤. ١٨)

(وفيات الأعيان، ٤٧١/٢. ١٩)

(طبقات الشافعية، ٢٧٣/٤. ٢٠)

(عمر رضا كحاله، التاريخ والجغرافية، ص٨٧ ـ ٨٨، شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ٣٦٢.٣٦١/١. ٢١(

) ينظر تاريخ مدينة دمشق، ٣/٥ ـ ٢٩٧/٧٠. ٢٢(

(٢٣) ينظر، الأزرقي، أخبار مكة ٣٣/١، ٦٧، ١١٤، ١٣٢، ٦٠/٢، ٧٣، ١٧١، ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة ٤٢/١، ٦٧، ٨٨، ٤٢/٢.

) ينظر عن تواريخ دمشق ووصفها، المنجد، مقدمة تحقيق المجلدة الأولى، تاريخ ابن عساكر. ٢٤)

(محمود ابراهيم، مخطوطات فضائل بيت المقدس، ص١٨٣ ـ ٢٤٥. ٢٥)

(٢٦) ينظر، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ١/١٦٦ ـ ١٧٢. كحالة. التاريخ والجغرافيا، ص٨٥-٨٩.

(٢٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٢٩٤.

(٢٨) ينظر، تاريخ مدينة دمشق ١/٣ ـ ٢٨٧، ٢/٣ ـ ١٩٢.

(٢٩) ينظر، المصدر نفسه ١/ ٤ ـ ٥.

(٣٠) ينظر، المصدر نفسه ٢/١٥٧، ١٦٤ ـ ١٧٣، ٢١٠، ٢٢٣.

(٣١) ينظر، المصدر نفسه ٣/٣ ـ ٥١٨، ٤/٣ ـ ٣٩٤.

(٣٢) ينظر، المصدر نفسه، ١/ ٤ ـ ٥.

(٣٣) ينظر، ابن هشام، السيرة النبوية ١/١٩١ ـ ١٩٤، الطبري، التاريخ ٢/٢٧٧ ـ ٢٨٣.

(٣٤) ينظر، ابن هشام، المصدر نفسه ١/١٩٨ ـ ٢٠٠، الطبري، ٢/٢٨٠ ـ ٢٨٢.

(٣٥) ينظر، ابن هشام المصدر نفسه ٢/٣٦ ـ ٤١، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٦٨.

(٣٦) ينظر، الواقدي، المغازي، ص٤٠٣ ـ ٤٢٥، ٧٦٩، ٩٨٩ ـ ١٠٦٠.

(٣٧) ينظر، البخاري، التاريخ، ١/ ق١/ ٥ ـ ١١، ابن حبان، الثقات، ١/١٤ ـ ٢/ ٣ ـ ١٥١، مشاهير علماء الأمصار، ص٣ـ٤.

(٣٨) ينظر، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/٢١٣.

(٣٩) تهذيب الأسماء، ١/ ٤.

(٤٠) تاريخ مدينة دمشق، ١/٥.

(٤١) ينظر، عمار نصار، تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين، ص٤٦ ـ ٢٤٠.

(*) المتابعة هي مشاركة راو لراو آخر في رواية حديث عن شيخه أو عمن فوقه من المشايخ. ينظر، ابن الصلاح، مقدمة في علوم الحديث، ص٣٨ ـ ٤٠.

(٤٢) ينظر تاريخ مدينة دمشق، ٢/١٧ - ٣٩، ١٨، ٤١ - ٤٤.

(٤٣) ينظر المصدر نفسه، ¾ ـ ١٧، ٤٧ ـ ٦٥، ٦٦ ـ ٩٥، ٤١٥ ـ ٤٥٨، ٤٨٠ ـ ٥١٧، ٤/٣٦٢ ـ ٣٧٥، ٣٧٦ ـ ٣٨٠، ٣٨١.

(٤٤) ينظر المصدر نفسه، ٣/١٧ — ٣٢، ٣٥ ـ ٤٦، ٦٦ - ٧٧، ٢٤٧ ـ ٢٨٥، ٣٤١ ـ ٣٦٥، ٤/١٣ ـ ١٦، ٢٨ ـ ٣١، ٣٥ ـ ٤٠.

(٤٥) ينظر، عمار نصار، تطور كتابة السيرة، ص ٧٦ ـ ٨٣.

(٤٦) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/٧، ٢٢، ٧٠، ١٣٢، ١٤٦، ١٩٨، ٢٧٣، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٤، ٤/٤، ٥٠، ٦٦.

(٤٧) ينظر، المصدر نفسه، ٣/٤، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٤٧، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٧٦ ـ ٧٧، ٨٠، ١١٩، ١٢٨، ٤/٣٩، ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٥٨، ٦٧، ٧١، ١٠٢، ١٧٥، ٢٢٢، ٢٤٦.

(٤٨) ينظر، المنجد، صلاح الدين، اربعينيات ابن عساكر ورحلته إلى بلاد فارس وما وراء النهر، مجلة الدراسات الأدبية، الجامعة اللبنانية، السنة السادسة، العدد، ٣، ٤، ١٩٦٥، ص٢١٢ ـ ٢٢٢.

(٤٩) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/١٧ – ٣٢، ٣٦ – ٣٩، ٤٠ – ٤٦، ٤٧ ـ ٤٩، ٤٠٠ ـ ٤١٤، ٤/٣ ـ ٨، ٣٥ ـ ٣٦، ٣٧ ـ ٤٠، ٥١ ـ ٥٣، ٦٦ ـ ٦٩.

(٥٠) ينظر، المصدر نفسه، ٣/٣٥، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٨٧ ـ ٢٨٩، ٣٦٤ ـ ٣٦٩، ٤٥٨، ٤/١٣، ٣٥٩، ٣٨٨.

(٥١) ينظر، المصدر نفسه، ٣/١١٩، ٤/٦٧.

(٥٢) ينظر، المصدر نفسه، ٣/١٦، ٧٣، ٩٤، ٤٨٦ ـ ٤٨٧، ٤٨٨.

(٥٣) ينظر، دلائل النبوة، ١/١٢ ـ ١٩، ٣٠ ـ ٣٨، ٤٦ ـ ٤٧.

(٥٤) نصار، تطور كتابة السيرة، ص٧٦ ـ ٨٣.

(٥٥) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٦٧، ٢٥١، ٣٢٠، ٣٣٧ ـ ٣٦٣، ٣٩٤، ٤/٦٨، ٧٥، ٩٩، ١٨٨، ٣٥٣ ـ ٣٩٠.

(٥٦) ينظر، المصدر نفسه، ٣/٤٧، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٤/٥، ٣١، ٣٩، ١٢١، ١٢٢، ١٨١، ١٨٨، ١٩٢، ٢٧٧، ٣١٣، ٣٤٢.

(٥٧) المصدر نفسه، ٢/٢١.

(٥٨) المصدر نفسه، ٣/٧٣.

(٥٩) ينظر، المصدر نفسه، ٣/٥ ـ ٨، ٣٩٨، ٤٦٤ ـ ٤٧٩، ٤/٤ ـ ٥، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦.

(٦٠) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/١٢ ـ ١٤، ٣٢، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٣٠١، ٣١٥ ـ ٣١٦، ٣١٨ ـ ٣١، ٣٢١ ـ ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٩ ـ ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣ ـ ٣٣٤، ٣٩٨، ٤٠٤ ـ ٤٠٨، ٤٠٥ ـ ٤٠٩، ٤١٠، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٥٠، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٧٨، ٤/١٥، ٤٤.

(٦١) ينظر، شوقي أحمد، شعر السيرة النبوية، ص٨٢ ـ ٨٩.

(٦٢) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/٣٢ ـ ٣٣.

(٦٣) ينظر، المصدر نفسه، ٣/٣٣.

(٦٤) المصدر نفسه، ٣/٣٤.

(٦٥) صلاح الدين المنجد، مقدمة تحقيق المجلدة الأولى من تاريخ ابن عساكر، مج ١/ ٣٥.

(٦٦) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/٩٤، ١١٩، ٤/٦٧.

(ينظر، المصدر نفسه، ٣/ ٤١٤، ٤٥٠، ٤٨٨، ٤/ ١٠٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٦ - ٢١٨، ٢٣٨، ٢٦٦.

٦٧)

(٦٨) ينظر، المصدر نفسه، ٣/ ٥٣ - ٥٤، ٥٦، ٦٠، ٦٧، ٤٩، ١٦٤، ١٥٤، ٢٧١، ٤/ ٤٠، ٦٧، ٦٩، ٩٦ - ١٠٠، ١٠٥، ١٥٤ - ١٦٨، ١٧٠ - ١٨٠، ٣٥٣ - ٣٥٧، ٣٥٩ - ٣٦٠، ٣٩٣ - ٣٩٤.

(ينظر، الذهبي، ميزان الاعتدال ١/ ٤. ٦٩)

(ابن الصلاح، مقدمة في علوم الحديث، ص٢٣٧. ٧٠)

(المصدر نفسه، ص ٢٣٧ - ٢٣٨. ٧١)

(٧٢) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/ ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٦٧، ٢٥١، ٣٢٠، ٣٣٧ - ٣٦٣، ٣٩٤، ٤/ ٦٨، ٧٥، ٩٩، ١٨٨، ٣٥٣ - ٣٩٠.

(٧٣) عقد البيهقي فصله في مقدمة كتابه (دلائل النبوة) بين فيها المسار الذي انتهجه كل من المحدثين والمؤرخين في كتابة سيرة الرسول وأحواله أسماه (فصل في قبول الأخبار)، وضح فيه المعايير وآراء العلماء في قبول الروايات إذا جاءت من الضعفاء والوضاعين بطريقة الأخذ به، ينظر دلائل النبوة ١/ ٢٠ — ٤٢.

(٧٤) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/ ٤٥١ - ٤٥٨، ٤٦٩ - ٤٧٩، ٤٨٠ - ٥٠٧، ٥١٧ - ٥١٨، ٤/ ٣ - ٨، ٢٧ - ٢٩، ٣٥، ٩٠، ٢١٦ - ٢١٨، ٢٧٣، ٣٢٤ - ٣٥٠.

(المصدر نفسه، ٢/ ١١. ٧٥)

(ينظر، المصدر نفسه، ٢/ ٣٨ - ٤١. ٧٦)

(ينظر، المصدر نفسه، ٣/ ١٦، ٥٦، ٧٦، ٧٧ - ٧٨، ٨١، ٨٦. ٧٧)

(طبقات الشافعية، ٤/ ٢٧٤ - ٢٧٥. ٧٨)

(ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٣/ ٤١٤، ٤٥٠، ٤٨٨، ٤/ ١٠٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٣٨، ٢٦٦، ٢٩٢. ٧٩)

(ينظر، تاريخ التراث العربي، مج١/ ١١٤. ٨٠)

(ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٢/ ١٦ - ١٩، ٢٨، ٣٧. ٨١)

(٨٢) ينظر، المصدر نفسه، ٢/ ٢٢ - ٢٤، ٣١، ٣٢ - ٣٣، ٣٨، ٤١، ٥٥ - ٥٦، ٣/ ٦٨، ٧٢، ٨٨ - ٩٠، ١٥٧، ٤/ ٩٠.

(٨٣) ينظر، المصدر نفسه، ٣/ ٥٣ - ٥٤، ٥٦ - ٦٠، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ١١٩، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٩، ٤/ ٨، ١٤، ٢٩٨.

(ينظر، المصدر نفسه، ٣/ ١٦، ٥٦ - ٦٥، ٧٣، ٧٦ - ٧٨، ٩١. ٨٤)

(ينظر، المصدر نفسه، ٤/ ٢٩٣ - ٣٢٤، ٣٥٠. ٨٥)

(٨٦) ينظر، محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية العائدة للعصر النبوية والخلافة الراشدة، ٣٠ – ٣١٥.

(٨٧) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٨٢/٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٤٩١، ٤٩٧، ٢٣/٤، ٣٨، ٦٤، ١٢٥، ١٣٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢٣٨، ٢١٠، ٢٠٣، ١٩٩.

(٨٨) ينظر، المصدر نفسه، ٢٤٨/٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣١٣، ٣٣٨، ٤٩٢، ١٨/٤، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٧، ٨٣، ٨٤، ١٠٧، ١١٧، ١٢٠، ١٢١، ١٣٨، ١٥١.

(٨٩) ينظر، الأزرقي، اخبار مكة، ٨٥/١، ٥٥/٢، ٥٨، ١٤٧، ١٥٩، ١٧٣، ١٧٦، ابن شبة، تاريخ المدينة، ٥/ ٧٠، ٤٠، ٥٦، ٨٢، ٦٤ ـ ٧٣، ٩٧ ـ ٩٩.

(٩٠) ينظر، العقد الثمين، ٣٦٦/١ ـ ٤٢١.

(٩١) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ١٧/٣ ـ ٣٥، ٣٤٧ ـ ٣٨٧، ٤٠٠ ـ ٤١٥، ٣/٤ ـ ٢١٢، ٣٥٣ ـ ٣٩٠.

(٩٢) ينظر، المصدر نفسه، ١٦/٢ ـ ١٩، ٢٨، ٣٧، ٣٨ ـ ٤١، ٩٣.

(٩٣) ينظر، المصدر نفسه، ٣١٤/٣ ـ ٣٥٦، ٤٦٤ ـ ٤٦٩، ٤٨١ ـ ٤٩٥، ٣٥٩/٤ ـ ٣٩٤.

(٩٤) المنجد، مقدمة تحقيق المجلدة الأولى من كتاب تاريخ مدينة دمشق، ٣٤ ـ ٣٥.

(٩٥) ينظر، تاريخ مدينة دمشق، ٥/٣ – ٨، ٣٩٨، ٤٦٤ ـ ٤٧٩، ٤/٤ ـ ٥، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦.

(٩٦) ينظر، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ٢٢/١، ٢٩، ٣٧، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٨/١، تاريخ الإسلام، ١٥/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/٣ ـ ١٦، ٧١ ـ ٧٢، ١٠٨ ـ ١٠٩، ١٨١ ـ ١٨٢، ٣٥٥/٥ السيوطي، الخصائص الكبرى، ٧٦/١، ٨، ١٠، ١٥، ١٧، ٢٥، ٣٣/٢، ٣٨، ٤٦، الصالحي، السيرة الشامية، ٩١/١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٢، ١٣٧، ١٤٠ ـ ١٤١، ١٤٣، ١٤٦ ـ ١٤٧، ١٦٠، ١٧٠.

(٩٧) ينظر، السيرة النبوية، ١/٤.